سَمِعْنَا قَعْقَعَةً عُظْمَى قَد انْبَعَثَتْ مِنَ السَّمَاءِ

فَاهْتَزَّتْ الأَرْضُ لَهَا، أَسْرَعْتُ إِلَى النَّافِذَةِ فَرَأَيْتُ

مَنْظَرًا هَائِلاً، انْقَلَبَ كُلُّ شَيْءٍ، وَارْتَفَعَ فِي الفَضَاءِ،

تُدبِرُ بِهِ الرِّيَاحُ وَتُقبِل، تعْلُو به وَتَنْزِلُ مُوَلْوِلَةً غَاضِبَةً.

غَمَرَت الظَّلْمَةُ الكَوْنَ، وَبَدَأَت الأَمْطَارُ تَتَهَمِرُ بِغَزَارَة، وَالعَوَاصِفُ تُصَفِّرُ، وَتَتَسَارَعُ، فَتَرْتَعِشُ لِهَوْلِهَا الأَشْجَارُ، وَتَتَمَلْمَلُ أَمَامَهَا الأَرْضُ، اخْتَبَأَ النَّاسُ وَالحَيَوَانَات، وَلَم يَبْقَ سِوَاهَا تَخْطِبُ عَلَى مَسَامِعِ العِمَارَات، وَالمَنَازِل.

خرجتُ من المدرسة في يوم من أيّام الشّتاء، وأخذْتُ أمشي بخطى سريعة، غير مبال بالزّمهرير، لأنّي كنت أريد الوصول بسرعة إلى المنزل، ولمّا كنت في منتصف الطّريق، هبّت ريح عاصفة شديدة دوّت بها جوانب الأفق، وقعقعت لها قبّة السّماء، حتّى حسبتها توشك أن تنقضّ، وأخذت تجاذبني معطفي مجاذبة شديدة، كأنّها تأبى إلاّ أن تنزعه منّي.استمررت أدراجي،أتيامن معها تارة، وأتياسر أخرى، وأندفع متقدّما، وأكرّ راجعا، هدأت العاصفة قليلا، ولكنّها ما هدأت إلاّ لتفتح الطّريق إلى الغيث الهاطل، فلم تهدأ ثورتها حتّى ثار ثائره، وأخذ يتساقط سقوطا شديدا، فابتلّ معطفي، ومشت الرّعدة في جميع أعضائي، ولكنّي تجلّدت، وقاومت، وغالبت الطّبيعة، حتّى وصلت، ولكنّي لم أصل إلاّ بعد وقت طويل.

انْتَابَنِي الذُّعْرُ لِمَنْظَرِ الأَشْجَارِ السَّاقِطَةِ والجُذُوعِ
المُتَهَاوِيَةِ وَالأَغْصَانِ المُتَنَاثِرَةِ السَّابِحَةِ فِي مِيَاهِ
السُّيُولِ الجَارِفَةِ المُلْتَفَّةِ بِالمَنَازِلِ كَأَنَّهَا حَيَّةٌ قَدْ
أَحكَمَتْ قَبْضَتَهَا بِفَرِيسَتِهَا وَهَيَّأَتْ نَفْسَهَا لِابْتِلَاعِهَا.

حَشَدَت الرِّيحُ السُّحُبَ، فَازدَادَت دكنة وانْحِطَاطًا شَيْئًا فَشَيْئًا
حَتَّى تَذَلَّلَت نَحْوَ الأَرْض وَهي تُدَوِّي وَتَئِنُّ، وَلَمَعَ البَرْقُ،
وَطَنَّ الرَّعْدُ طَنِينًا، وَأَزَّ أَزِيزًا، وَعَوَت الرِّيَاحُ مُخْتَصِمَةً
فِيمَا بَيْنَهَا، فَقَذَفَت بِكُلِّ مَا اعْتَرَضَهَا، حِينَهَا اعْتَصَرت السُّحُبُ
وَأَلْقَتْ بِمَا فِيهَا عَلَى المَنَازِلِ وَكُلِّ مَن حَوْلَهَا أَمْطَارًا
كَأَفْوَاهِ القِرَبِ .

أَلْقَيْتُ نَظْرَةً مِنْ خِلَالِ نَافِذَةِ الفَصْلِ فَإِذَا الأَشْجَارُ
تَهْتَزُّ اهْتِزَازًا عَنِيفًا وَإِذَا الأَمْطَارُ كَأَفْوَاهِ القِرَبِ
وَإِذَا السَّاحَةُ بِرْكَةٌ مُتَمَاوِجَةٌ فَانْقَبَضَتْ نَفْسِي
وَتَرَاجَعْتُ إِلَى الوَرَاءِ مُتَسَائِلاً فِي حَيْرَةٍ : كَيْفَ سَأُغَادِرُ
هَذَا الفَصْلَ الدَّافِئَ لأُوَاجِهَ ذَاكَ الزَّمْهَرِيرَ الهَائِجَ.

ثَارَ جُنُونُ العَاصِفَة مُوَلْوِلَةً ثَائِرَةً غَاضِبَةً تَرْمِي
بِمَا يَعْتَرِضُهَا هُنَا وَهُنَاكَ دُونَ شَفَقَةٍ وَلاَ رَحْمَةٍ
فَخِفْتُ وَعَرَفْتُ يَوْمَهَا خَوْفًا مَا عَرِفْتُ لَهُ مَثِيلاً
فِي حَيَاتِي، وَلاَ أَعْتَقِدُ أَنَّنِي سَأَرَى مُجَدَّدًا الطَّبِيعَةَ
عَلَى هَذَا الوَجْهِ.

قَطَّبَتْ السَّمَاءُ وَجْهَهَا وَتَلَبَّدَتْ الغُيُومُ فِي السَّمَاءْ وَانْطَلَقَتْ الرِّيَاحُ تَعْبَثُ بِكُلِّ شَيْءٍ تُوَلْوِلُ وَتُصَفِّرُ وَتَتَنَقَّلُ فِي الشَّوَارِعِ وَبَيْنَ البُيُوتِ تَتَوَعَّدُ وَتَتَهَدَّدُ.

سِرْتُ فِي الشَّارِعِ المُقْفِرِ مُوَاجِهًا رِيحًا عَاتِيَةً تَصْفَعُ
وَجْهِي وَتُلْسِعُ سَاقِي وَتَتَسَرَّبُ تَحْتَ مِعْطَفِي فَيُقْشَعِرُّ جِلْدِي
وَيَرْتَعِشُ جِسْمِي وَتَضْطَكُّ أَسْنَانِي فَأَنْطَلِقُ
مُهَرْوِلاً حَانِيًا ظَهْرِي دَافِنًا رَأْسِي بَيْنَ كَتِفَيَّ وَمِنْ
حِينٍ لآخَرَ أُخْرِجُ مِنْدِيلاً أَمْسَحُ بِهِ أَنْفِي وَقَدْ اسْتَحَالَ
نَبْعًا لاَ يَنْضُبُ مَاؤُهُ.